الدرس (1): مكانة الثورة الإسلامية في منظومة الإمام الخامنئي الفكرية

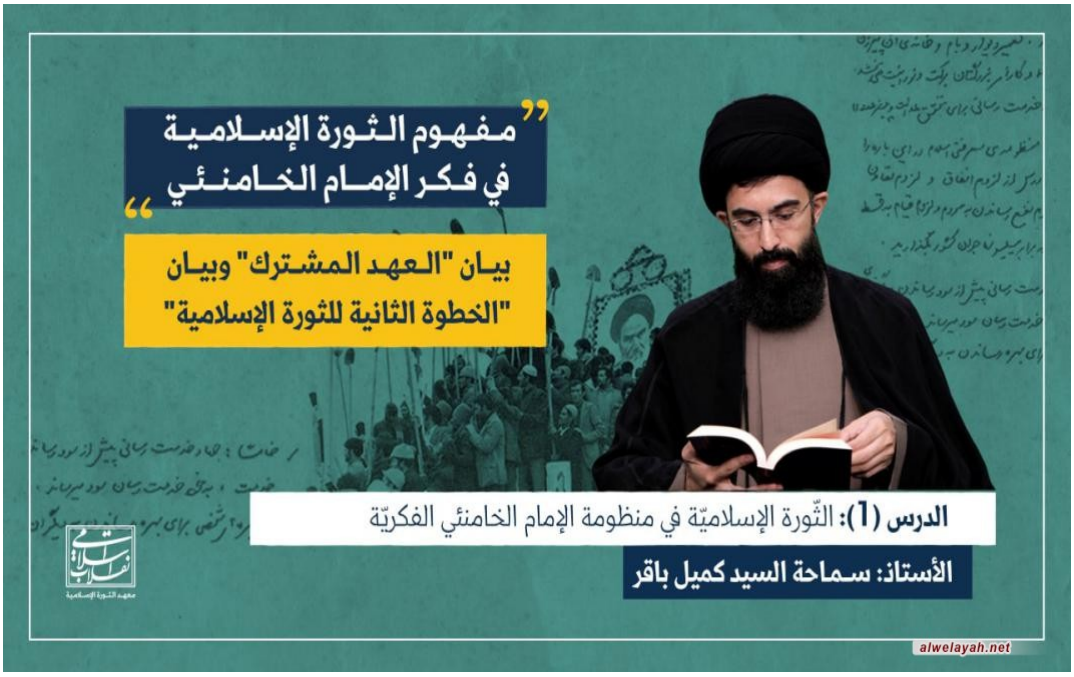

مفهوم الثورة الإسلامية في فكر الإمام الخامنئي

(دورة التعرّف على المنظومة الفكرية لسماحة الإمام الخامنئي)

الدرس (1): مكانة الثورة الإسلامية في منظومة الإمام الخامنئي الفكرية

الأستاذ: سماحة السيد كميل باقر

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

الإخوة والأخوات، السلام عليكم ورحمة ا.

يسرّني ويشرّفني أن أكون بخدمتكم في سلسلة حلقات ضمن دورة التعرّف على المنظومة الفكريّة لساحة الإمام الخامنئي (دام ظلّه)لنتحدّث حول مفهوم الثورة الإسلامية في فكر الإمام الخامنئي.

بداية أريد أن أشير إلى أهميّة هذا المحور في الدورة، لأنّ عنوان «الثورة الإسلامية » في فكر الإمام الخامنئي عنوانٌ عام وكلمة مفتاحية أساسية تشتمل على شبكة واسعة من المصطلحات والمفاهيم المهمة وكثيرة الاستعمال في خطابات ساحته، ونحن إذا أردنا أن نتعرّف على هذه الشبكة الجامعة وهذه المنظومة الفكريّة لا بد أن نتعرّف أولاً على ذلك العنوان العام والشامل وهو عنوان الثورة الإسلامية.

مثلاً عندما ندرس مفهوم «سيادة الشعب الدينية » فإننا في الحقيقة نتحدّث عن نظرية الثورة الإسلامية في السياسة، أو عندما نناقش مفهوم «الاقتصاد المقاوم » فإننا في الواقع نحكي حول نظرية الثورة الإسلامية في الاقتصاد، أو عندما نتحدّث عن «الحضارة الإسلامية الحديثة » فإننا في الحقيقة نتحدث عن مرحلة من مراحل الثورة الإسلامية، أو عندما نبحث عن مفاهيم «الحرية » و «الاستقلال » و «العدالة » و «التقدّم » و «الحياة الطيبة » في خطابات الإمام الخامنئي نلاحظ أنّ كلّ هذه المفاهيم مرتبطة في فكره بمفهوم الثورة الإسلامية ونجد أنهّا تمثلّ أهداف الثورة أو قيمها، أو مثلاً عندما يطرح ساحة القائد مسألة «جهاد التبيين » فهو يقصد تبيين حقائق الثورة الإسلامية ومعارفها للجمهور في وجه محاولات الأعداء لقلب الحقائق وتضليل الناس.

وهذا الأمر لا يبقى في مستوى الطرح النظري والفكري فحسب، وإنما نجد أنّ تصرّفات ساحته وسلوكه العملي أيضاً مرتبط بهذا المفهوم الأساسي، أي مفهوم الثورة الإسلامية.

وبتعبير آخر، عندما يقوم ساحة الإمام الخامنئي بعمل مع نّ أو يتخّذ موقفاً معيّناً أو يأخذ قراراً أو يلتقي بمجموعات وشرائح مختلفة، يقوم بكلّ هذه الأعمال من منطلق الثورة الإسلامية. كمثال بسيط ولكن ملفت جداً، أشير إلى جملة من خطاب ساحته بعد غرس شجرة بمناسبة اليوم الوطني للتشجير قبل بضعة أشهر. تعرفون أنّ ساحته يقوم بغرس شجرة كل سنة في هذا اليوم. ربّما البعض ليس عنده تصوّر دقيق عن مدى أهمية هذا العمل لدى ساحته، لكن بناءً على فهم الإمام الخامنئي الدقيق لمفهوم الثورة الإسلامية هذا العمل البسيط في ظاهره، في الحقيقة مرتبط بالثورة وبالإسلام! ى رّح ساحته: «إنّ زراعة

الأشجار حركة دينية وثورية بامتياز ». وهنا يجب أن نسأل أنفسنا إلى أيّ درجة يتطابق فهمنا للثورة مع فهم القائد؟! هذا من جهة، أما من جهة أخرى، نحن نعتقد أن ساحة الإمام الخامنئي هو قائد الثورة الإسلامية، وهذه الصفة يعني صفة «قيادة الثورة الإسلامية » هي أهم مسؤولية يتحمّلها ساحة الإمام الخامنئي. وأصلاً عندما نعرّ عن ساحته بكلمة «القائد » فإننا نقصد بأنّه قائدٌ للثورة الإسلامية. فلذلك من الضروري والمهم جداً أن نعرف كيف ينظر ساحته إلى مفهوم الثورة الإسلامية، وكيف يعرّف هذا القائد هذه الثورة التي يقودها هو. وإلا سنقع في كثير من الأخطاء والإشكالات في تحليلنا للثورة وأبعادها وأهدافها وإنجازاتها أو إخفاقاتها وآفاقها ومستقبلها.

هنا لا بأس أن أقرأ لكم مقاطع من خطاب الإمام الخامنئي حول هذا الموضوع حتى تعرفوا كيف ينظر ساحته إلى مسؤولية قيادة الثورة الإسلامية، ورغم أنّه ليس لديه أيّ تعلّق دنيوي ومادي بهذا المنصب، لكن كيف يرى نفسه مسؤولاً عن أداء هذا الدور القيادي.

يقول ساحة القائد: «مسؤوليّة إدارة الثّورة تختلف عن الإدارة التنفيذيّة للبلاد. القائد لا يتحمّل مسؤوليّة تنفيذيّة، لكنّه يتحمّل مسؤولية إدارة الثّورة - التي هي نفسها القيادة - ومسؤوليّة الحفاظ على اتّجاه الثّورة الإسلاميّة والنّظام، ولا بدّ أن يكون مهتماً بأن لا تنحرف الثّورة عن الأهداف ولا تتخلىّ عنها، وأن لا تُخدع بحِيَل العدوّ ولا تسلك المسار الخاطئ. هذه هي مسؤوليّات القيادة. »

وفي خطاب آخر يقول: «الهدف والهويّة والمسؤوليّة الأساسيّة للقيادة، هي الدّفاع عن النّظام ككلّ وصونه. وأنا -العبد- لا أملك شيئاً أيضاً، فالرّوح وماء الوجه متاعٌ قليل ليُبذلا في هذا المسار، وأنا لديّ الجهوزيّة التامّة لأن أبذُل هذين العنصرين اللذين أملكها. أنا لستُ متعلّقاً أيضاً بهذه المسؤوليّة الحاليّة على الإطلاق، إلا تحت عنوان أداء التكليف. والآن حيث أنّني منشغلٌ بها، فذلك حصراً من أجل أداء التّكليف، وهذا ما كان عليه الحال منذ اليوم الأوّل. منذ ذلك اليوم حين صوّت السادة في مجلس خبراء القيادة، واجهوا اعتراضي وامتناعي ومعارضتي الجديّة والمتواصلة، لكن حين أُلقيت المسؤوليّة على عاتقي، قلت: «خُذها بقوّة .»

طبعاً هناك موضوع مهم آخر، وهو كيفية قيادة ساحته للثورة الإسلامية والأساليب والآليات التي يعتمدها في القيادة. لكن هذا الموضوع سيكون عنوان المحور الخامس في الدورة. ولذلك نحن في هذا المحور وفي

هذه الجلسات سنركز فقط على مفهوم الثورة الإسلامية من منظار قائد الثورة الإسلامية، وسنترك عنوان «البعد القيادي » لدى ساحة الإمام الخامنئي إلى المحور الخامس والأخير من هذه الدورة إن شاء ا.

النقطة الثانية في هذه الجلسة هي إشارة سريعة إلى علاقة مبحث الثورة الإسلامية بالمباحث الأخرى التي تمّ طرحها سابقاً في هذه الدورة. في الحقيقة، يأتي هذا المحور من الدورة كامتداد للمحاور السابقة، لأنّ الثورة الإسلامية مبنيّة تماماً على نفس الأسس الفكرية والعقائدية والقرآنية التي تعرّفنا عليها في كتاب «م روع الفكر الإسلامي في القرآن » ضمن

المحور الأول من الدورة، وكما أشار ساحة القائد، تلك المحاضرات التي ألقاها ساحته في مسجد الإمام الحسن عليه السلام في مدينة مشهد المقدسة قبل حوالي ٥ سنوات من انتصار الثورة الإسلامية، كانت في الحقيقة تهدف إلى تبيين وتوضيح المبادئ الفكرية والعقائدية للثورة.

وكذلك جاءت هذه الثورة كاستكمال لحركة أهل البيت عليهم السلام ونصرةً لمشروعهم الإلهي الذي تعرّفنا عليه أكر في كتاب «الحسين مسيرة متواصلة » ضمن المحور الثاني في الدورة، وكما نعرف، هذه الثورة تريد أن تمهّد لظهور الإمام الحجّة أرواحنا فداه من خلال بناء حضارة إسلامية حديثة. إذاً من الأفضل قبل البدء بمتابعة هذه الحلقات التي سوف نتحدّث فيها عن الثورة الإسلامية في فكر الإمام الخامنئي، أن تراجعوا تلك الأبحاث وأن تستحضروا في ذهنكم ما تعلّمناه هناك، لأنّها مرتبطة تماماً بمباحثنا هذه، بل هي مقدّمة ضرورية لمعرفة مفهوم الثورة الإسلامية لدى ساحة القائد.

النقطة الثالثة هي تأكيد الإمام الخامنئي على ضرورة إلقاء نظرة شاملة واستيعابية لفهم الثورة وتحليل الثورة. الرؤية الضيّقة والنظرة المستغرقة في الأحداث الصغيرة والمنعطفات المقطعية ليست معرّ ِة ودقيقة جدّاً. فائدة النظرة الشاملة والاستيعابية هي أنها تساعدنا على فهم الأمور بطريقة اسراتيجية، وتُجَنّبُنا الوقوع في الأخطاء. لأنّ النظرة الجزئية وعدم رؤية المسار العام من بدايته لنهايته تؤدّي أحياناً إلى تضليل الإنسان.

نقصد هنا من هذه النظرة الشاملة والاستيعابية: أوّلاً، النظر إلى جميع العناصر والعوامل المتصلة بمفهوم الثورة والمؤثرة فيه من المحفّزات والأرضيات والأهداف والقيم والمراحل والخطوات وأصحاب الدور فيها وأنواع العداء تجاهها والمشاكل التي تعترضها وسرّ انتصاراتها وكلّ شيء آخر من هذا القبيل وفي هذا السياق، ونحن إن شاء ا سنحاول أن نتطرّق إلى كل هذه العناوين العامة في بحثنا حول الثورة.

4

ثانياً، نقصد في النظرة الشاملة ملاحظة العوامل المعنوية إلى جانب العوامل المادية في تحليل الثورة. لأنّه من الأخطاء الرائجة في التحليل أن يبقى الإنسان محبوساً فى إطار العوامل المادية والأسباب المحسوسة فقط، بمعنى أن يتجاهل العوامل المعنوية والسنن الإلهية والأمور التي قد لا تُرى بالأعين.

ولذلك نرى أنّ أعداء الثورة كثيراً ما يقعون في الخطأ في تحليلاتهم وتوقّعاتهم حول الثورة. لكن في المقابل، نجد أنّ ساحة الإمام الخامنئي يتمتّع بهذه النظرة الشاملة وبهذه الرؤية الاسراتيجية الدقيقة، ولديه هذا الإيمان العميق بالعوامل المعنوية والسنن الإلهية في تحليله للثورة ولأحداث العالم.

النقطة الرابعة في هذه الجلسة هي أنّه لا بدّ من الأعراف بأنّه ومع انتصار الثورة الإسلامية في إيران قد بدأ عهدٌ عالميٌ جديد، شاء العالم المادي أم أبى، وشاءت أمريكا أم أبت. يقول الإمام الخامنئي: «يومَ كان العالم مُقسّماً بين المعسكر الشّرقي والمعسكر الغربي الماديّين، ولم يكن أحد يتصوّر وقوع نهضة دينيّة كرى، نزلت الثورة الإسلامية إلى الساحة باقتدار وعظمة، وحطّمت الأطر التقليدية وأثبتت للعالم اهتراء الطروحات والصيغ الفكريّة النمطيّة؛ وطرحت الدين والدّنيا إلى جانب بعضِها البعض، وأعلنت عن بداية عصر جديد. »

حسناً، هذه الظاهرة الجديدة استطاعت أن تستقطب قلوب الشعوب المستضعفة في العالم، وأصبح المفكرون والباحثون يكتبون عنها ويتحدّثون حول تأثيراتها على الخارطة السياسية في العالم. لكن في المقابل شاهدنا ردود أفعال مختلفة صدرت عن القوى المستكبرة وأصحاب القرار في نظام الهيمنة، من إنكار هذا العهد العالمى الجديد إلى بذل الجهود لمنع توسّع هذه الظاهرة العالمية. يقول الإمام الخامنئي: «كان من الطبيعي أن يُبدي زعماء الضّلال والجور ردّات فعل، غير أنّ ردّات الفعل هذه كتب لها

الإخفاق. وعلى الرغم من كلّ ما قام

به اليسار واليمين الحداثويّان من التظاهر بعدم ساع هذا الصوت الجديد والمختلف، إلى السعي الواسع والمتنوّع لإخماده، إ لّ أنّها اقتربا من أجلها المحتوم. والآن زال أحد قطبي العداء المذكورين، وراح الآخر يتخبّط في مشاكل تنمّ عن قرب احتضاره! أما الثّورة الإسلاميّة فلا تزال تواصل تقدّمها إلى الأمام محافِظةً على شعاراتها والالتزام بها. »

النقطة الخامسة والأخيرة في هذه الحلقة هي تحديد المصادر الأساسية التي سنستند إليها في هذه السلسلة من الدروس. في الحقيقة، أنا العبد استفدت في إعداد هذه الدروس من مجموعة متنوعة من خطابات ومحاضرات ساحة الإمام الخامنئي حول مفهوم الثورة الإسلامية خلال السنوات الماضية، وفي كثير من الأحيان سأقرأ لكم نصّ هذه المقاطع والخطابات بعيداً عن قرائتي الشخصيّة. لكن بشكل أساسي ومبدئي، سنستفيد في هذه الجلسات من بيانين مفصّلين ومهمّين جداً كتبها ساحة الإمام الخامنئي حول الثورة الإسلامية وقدّم فيها رؤيته الاسراتيجية حول الثورة.

البيان الأوّل هو رسالة كتبها ساحة القائد بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيل الإمام الخميني رضوان ا تعالى عليه، والتي أصبحت معروفة باسم «بيان العهد المشرك ». يعني بعد سنة من استلام القائد قيادة الثورة جاء وشرح لنا كيف يقرأ الثورة، وقال لنا ما هي هذه الثورة ومن أين بدأت وكيف نشأت وكيف انتصرت وما هي أهدافها وقيمها وآفاقها ومستقبلها.

أمّا البيان الثاني هو رسالة أخرى كتبها ساحة الإمام الخامنئي بعد ثلاثين سنة من الرسالة الأولى بمناسبة الذكرى الأربعين لانتصار الثورة الإسلامية، والتي أصبحت معروفة باسم «بيان الخطوة الثانية للثورة الإسلامية ». في هذا البيان المهم والاسراتيجي أوّلاً يقدّم لنا ساحة القائد قرائته الواقعية والدقيقة عن أربعين سنة مضت على الثورة كالخطوة الأولى للثورة، ثمّ يشرح لنا الخطوة الثانية التي ينبغي أن نخطوها في هذا الطريق خلال السنوات الأربعين القادمة لكي نصل إلى أهداف الثورة ونمهّد إن شاء ا لبزوغ شمس الولي الأعظم أرواحنا فداه كما يعبّر ساحة القائد في هذا البيان. أيضاً إلى جانب هذين البيانين من المفيد أن تراجعوا كتاب «العهد العالمي الجديد » من إصدارات «دار الثورة الإسلامية » لتطّلعوا على أفكار الإمام الخامنئي حول الثورة الإسلامية وتأثيراتها على الخارطة السياسية في العالم.

نكتفي بهذا القدر من الكلام في هذه الحلقة، ومن الحلقة القادمة سنبدأ بالحديث حول الأبعاد المختلفة لمفهوم الثورة الإسلامية من منظار قائد الثورة الإسلامية ساحة آية الله العظمى الإمام السيّد علي الخامنئي دام ظلّه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.